148 - { سيقول الذين أشركوا } لما لزمتهم الحجة وتيقنوا بطلان ما كانوا عليه من الشرك با وتحريم ما لم يحرمه ا [قالوا] { لو شاء ا ما أشركنا ولا آباؤنا } من قبل { ولا حرمنا من شيء } من البحائر والسوائب وغيرهما أرادوا أن يجعلوا قوله : { لو شاء ا ما أشركنا } حجة لهم على إقامتهم على الشرك وقالوا إن ا تعالى قادر على أن يحول بيننا وبين ما نحن عليه حتى لا نفعله فلولا أنه رضي بما نحن عليه وأراده منا وأمرنا به لحال بيننا وبين ذلك فقال ا تعالى تكذيبا لهم : { كذلك كذب الذين من قبلهم } من كفار الأمم الخالية { حتى ذاقوا بأسنا } عذابنا .

ويستدل أهل القدر بهذه الآية يقولون : إنهم لما قالوا : لو شاء ا ما أشركنا كذبهم ا ورد عليهم فقال : { كذلك كذب الذين من قبلهم } .

قلنا : التكذيب ليس في قولهم { لو شاء ا ما أشركنا } بل ذلك القول صدق ولكن في قولهم : إن ا تعالى أمرنا بها ورضي بما نحن عليه كما أخبر عنهم في سورة الأعراف (الآية 28) : { وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا وا أمرنا بها } فالرد عليهم في هذا كما قال تعالى : { قل إن ا لا يأمر بالفحشاء } .

والدليل على أن التكذيب ورد فيما قلنا لا في قولهم : { لو شاء ا ما أشركنا } قوله : { كذلك كذب الذين من قبلهم } بالتشديد ولو كان ذلك خبرا من ا D عن كذبهم في قولهم : { لو شاء ا ما أشركنا } لقال كذب الذين [من قبلهم] بالتخفيف فكان ينسبهم إلى الكذب لا إلى التكذيب وقال الحسن بن الفضل : لو ذكروا هذه المقالة تعظيما وإجلالا D ومعرفة منهم به لما عابهم بذلك لأن ا تعالى قال : { ولو شاء ا ما أشركوا } وقال : { ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء ا } (الأنعام 111) والمؤمنون يقولون ذلك ولكنهم قالوه تكذيبا وتخرصا وجدلا من غير معرفة با وبما يقولون نظيره قوله D : { وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم } (الزخرف 20) قال ا تعالى : { ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون } (الأنعام 116) .

وقيل في معنى الآية إنهم كانوا يقولون الحق بهذه الكلمة إلا أنهم كانوا يعدونه عذرا لأنفسهم ويجعلونه حجة لأنفسهم في ترك الإيمان ورد عليهم في هذا لأن أمر ا بمعزل عن مشيئته وإرادته فإنه مريد لجميع الكائنات غير آمر بجميع ما يريد وعلى العبد أن يتبع أمره وليس له أن يتعلق بمشيئته فإن مشيئته لا تكون عذرا لأحد .

{ قل هل عندكم من علم } أي : كتاب وحجة من ا { فتخرجوه لنا } حتى يظهر ما تدعون

على ا تعالى من الشرك أو تحريم ما حرمتم { إن تتبعون } ما تتبعون فيما أنتم عليه { إلا الظن } من غير علم ويقين { وإن أنتم إلا تخرصون } تكذبون